# الصبر سلاح الدعاة

**ابو الوفاء محمود***

الحمدلله رب العلمين والصلوة والسلام على سيدالانبياء والمرسلين

في لحظة واحدة يتناهى إلى سمعك صوتان :

صوت أفراح بزغاريده وأبواق سياراته إيذاناً بعرس جديد .. أو بميلاد جديد ..

وصوت أتراح بنشيجه ورهبته إيذاناً بفقدان عزيز .

هذا يستقبل عمره أو عرسه لحظة لقاء .. وذاك يودع عمره لحظة فراق .. والعمر له بداية فرح .. وله نهاية ترح.

إن تاريخ الحياة الإنسانية مليء بالأرزاء والآلام والفتن ، وأسباب الابتلاء بها غير واضحة . ولا بد للأفراد أن يستقبلوا البلاء الوافد بالتسليم والرضا كما يقول شاعر مصري معاصر محمد مصطفى حمّام :

علّمتني الحياة أن أتلقّى كلّ ألوانها رضاً وقبولا

ورأيت الرضا يخفّف أثقالي ويلقى على المآسي سدولا

فالرضا نعمة من الله لم يسعد بها في العباد إلا قليلا

علّمتني الحياة أن لها طعمين: مرّاً وسائغاً معسولا (١)

أجل ، إنه الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره – سبحانه – وإحساس المسلم ، بأن زمام العالم كله لن يفلت من يد الله تعالى،إذ مهما اضطربت الأحوال، وتقلبت الأمور، فمرجعها إلى مشيئة الله صاحب الأمر **وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** (٢)

وفيه يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفساً إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

---

* الأستاذ المساعد بمركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة بنجاب ، لاهور

وكن رجـلاً على الأهوال جلداً وشيمتك السمـاحة والوفـاء [٣]

وذلك ما عنته الآية الكريمة ، في قوله تعالى : **قُلْ لَنْ يُصِيْبَنَا إلاّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ** [٤]

جاء الإسلام ليبني النفوس على العزة والأنفة والثقة بالله ثم بالذات ، وينتزع منها القلق والخوف والجزع في حالة الخوف ، فتعاليمه تربي المسلم على الاعتزاز بالدين والصبر والثبات والإيمان بقضاء الله

وقدره . فمن الصفات اللازمة في حياة الإنسان كلّها صفة الصبر . وقد ذكره الله تعالى في التنزيل في نحو من تسعين موضعاً .

فالصبر لغة : هو الحبس والكفّ.وفي الاصطلاح هو:حبس النفس عن الجزع قال الله تعالى: **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**[٥] وفي حديث النبي عليه الصلاة والسلام في رجل أمسك رجلا وقتله آخر قال : "اقتلوا القاتل واصبروا الصابر" أى احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت . [٦]

أو حبس النفس على فعل شيءٍ أو تركه ابتغاء وجه الله تعالى ، كما في قوله سبحانه **وَالَّذِيْنَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ** [٧]

فالصبر : حبس النفس عن الجزع ، وصون لها عن فعل ما يغضب الله ، ومقاومة للنوازع الفطرية في نفس الإنسان . أى قهرها على احتمال المكاره في ذات الله تعالى وتوطينها على تحمل المشاق وتجنب الجزع ، ومن حمل نفسه وقلبه على هذا التذليل سهل عليه فعل الطاعات ، وتحمل مشاق العبادات وتجنب المحظورات .

ذكر الصبر في القرآن الكريم :

وقد ورد ذكر الصبر في القرآن الكريم أكثر من سبعين موضعاً . وتكرر ذكره في القرآن لأن الله تعالى يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع ، والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات . وقد ذكر في القرآن الكريم على ستة عشر نوعاً:

الأوّل : الأمر به نحو قوله تعالى: **يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**،وقوله تعالى: **اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ** ، وقوله تعالى:**وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ، **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ**.

الثاني : النَّهى عن ضدّه كقوله : **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** وقولهِ : **فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** ، فإن تَوْلية الأَدبار ترك الصّبر والمصابرة .

الثالث : الثَّناء على أَهله كقوله : **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ، وقوله : **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَائِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُولَائِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** . وهو كثير النَّظائر فى التنزيل.

الرّابع : إِيجاب معيّته لهم المعيّةَ التى تتضَمّن حفظهم ونصرهم وتأْييدهم ، ليست معيَّة عامّة ، أَعنى مَعيَّة العِلْم والإِحاطة ، كقوله : **وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** .

الخامس : إِيجاب محبّته لهم ، كقوله : **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ، وقوله : **وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**

السّادس : إِخباره بأَنَّ الصبر خيرلهم ، كقوله : **وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِين** ، وقوله : **وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ.**

السّابع : إِيجابه الجزاء لهم بأَحسن ما كانوا يعملون.

الثامن : إِيجابه الجزاء لهم بغير حساب ، كقوله : **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** .

التاسع : إِطلاق البُشرَى لأَهل الصّبر ، كقوله : **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** .

العاشر : ضمان النَّصْر والمدَدِ لهم ، كقوله : **بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ** .

الحادى عشر : الإِخبار أَنَّ أَهل الصّبر مع أَهل العزائم ، كقوله تعالى : **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ.**

الثانى عشر : الإِخبار أَنَّه ما يُلَقَّى الأَعمال الصّالحة وجزاءَها إِلاَّ أَهل الصّبر ، كقوله : **وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الصَّابِرُونَ** وقوله : **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**

الثالث عشر : الإِخبار أَنَّه ينتفع بالآيات والعِبَر أَهلُ الصّبر ، كقوله تعالى : **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذلك لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** وقوله فى أَهل سبأ: **فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ**

**صَبَّارٍ شَكُورٍ** وقوله فى سورة الشورى : **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** .

الرّابع عشر : الإخبار بأَنَّ الفوز بالمطلوب ، والنجاةَ من المرهوب ، ودخولَ الجنَّة إنَّما نالوه بالصّبر ، كقوله تعالى : **وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**.

الخامس عشر : يورث صاحبه الإمامة. وإنَّ بالصبر واليقين يُنال الإمامة فى الدّين ، كقوله :

**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** .

السّادس عشر : اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان ، كما قرنه سبحانه باليقين وبالتَّقوى والتوكُّل والشكر.

قيمة الصبر وفضائله :

أَمَرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بالصّبر عند المصيبة ، وأَخبر أَنه عند الصَّدْمة الأُولى ، وأَمر المصاب بأَنفع الأُمور له وهو الاحتساب ، فإنَّ ذلك يخفِّف مُصيبته ويوفّر أَجره . والجزع والسّخط والتشكّي يزيد المصيبة ، ويُذهب الأَجر. والصبر خيرٌ كله ، ولذا كان الثواب عظيماً . قال تعالى : **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**[٨] فإذا كان الصبر لابتغاء وجه الله فهو محمود ، وهو في قمّة الأعمال الصالحة التي وعد الله سبحانه وتعالى عليها بالثواب الوافر حيث قال : **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوْا وَيُلَقَّوْنَ فِيْهَا تَحِيَّةً وَسَلاَماً** [٩] وقال: **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوْا جَنَّةً وَحَرِيْراً** [١٠] وعدّ الله الصابرين من المحسنين في قوله : **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ** [١١] والصبر الذي لا يكون لوجه الله لا أجرفيه .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( ما يصيب المرء المسلم يمن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا غمٍّ ولا أذىً حتى الشوكة يشاكّها إلاّ كفَّر الله عنه بها من خطاياه ). وفي حديث آخر عن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عَجَباً لأمر المؤمن إنّ أمرَهُ كلَّهُ خيرٌ ، وليس ذاك لأحدٍ إلاّ للمؤمن . إن أصابته سرَّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له ) [١٢]

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : ( الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان) [١٣]. وقد وعد الله الصابرين بأنه معهم . والصبر من خاصية الإنسان التي لا يتصور في البهائم لغلبة الشهوات عليها . وهو عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات ، فإن ثبت الإنسان حتى غلب عليها فكان من الصابرين . وأصبر الناس على بلاء الله هم الأنبياء ، فالله عزّ وجلّ يأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم :

**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ** [١٤]

لأنه في مواقف الضيق والحرج يمتحن الإيمان ، وتظهر للناس خبيئته ، حيث تتجرّع النفس مرارة الألم ، وتعبس الدنيا ويكفهر وجهها . هناك تتجلّى قيمة الصبر وفضائله ، متى استطاع الإنسان بعزيمته الصادقة وتسليمه بقضاء الله ، أن يكبح جماح نفسه الشموس ، ويأخذ بمجامعها إلى الجادة . فإذا ذاقت حلاوة الصبر وبرد الإيمان ، هجعت واطمأنّت ، وذهب عنها وهج الحزن وكدره ، حتى ترجع أصلب ما تكون عوداً ، وأقوى في مصاولة خطوب الدنيا ونكساتها .

حقيقة الصبر :

ذكر الشيخ محمد الغزالي أن الصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين :

أما الأولى فتتعلق بطبيعة الحياة الدنيا . فإن الله لم يجعلها دار جزاء وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان ، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل في امتحان آخر ، قد يغاير الأول مغايرة تامة .. وامتحان الحياة ليس كلاما يكتب أو أقوالا توجه . إنها الآلام التي قد تقتحم النفس وتفتح إليها طريقا من الرعب والحرج .. إن تاريخ الحياة من بدء الخلق إلى اليوم مؤسف ! ومن الحق أن يشق المرء طريقه في الحياة وهو موقن بأنه غاص بالأشواك والأقذاء .

وأما الحقيقة الأخرى فتتعلق بطبيعة الإيمان . فالإيمان صلة بين الإنسان وبين الله عزّ و جلّ . وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس لا يعتد بها ولا ينوّه بشأنها إلا إذا أكدها مرّ الأيام ، وتقلّب الليالي ، واختلاف الحوادث . فكذلك الإيمان ، لا بد أن تخضع صلته للابتلاء الذي يمحصها . فإما كشف عن طيبها ، وإما كشف عن زيفها [١٥].

وبهذا الدرع الفريد ، يتجاوز المسلم أزماته ، ليحمل مشعل الحياة الكريمة في دروب الأرض وفجاجها الواسعة ، ويقوم بالمهمة التي خلق من أجلها . وليكمّل مسيرة الخير تحت راية التوحيد

الخالدة . فتتحوّل المغصات الخانقة ، إلى محرك نشط يدفع الأمة إلى واجهة التاريخ ، ويصقل بخشونته النفوس فتعود أكثر تألقا لتعيش هنيئة راغدة في ظلّ دوحة الإسلام الوارفة ، تتفيّأ ظلالها وتتقلّب في خيراتها .

أنواع الصبر :

١- الصبر على الدين : أمر الله المؤمنين أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه لهم ، فلا يدعه لسرّاء ولا لضرّاء ، ولا لشدّة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين ، وهو أنواع :

أ – الصبر في طاعة الله : والصبر على الطاعة هو بالمحافظة والدوام عليها . فلا بدّ للداعي المسلم أن يؤدي ما كلِّف من أركان الإسلام وأن يداوم عليها ويتحمّل المتاعب في أدائها ، لأنه أمِر بالصبر على الدين وتكاليفه وبالثبات عليه والمداومة على الطاعة ، فأمره الله تعالى بالصبر في الصلاة لأنها فريضة متكررة :

**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** (١٦) كما أمر بالاستعانة بالصبر فيها لأنها كبيرة على المنافقين، يسيرة على المؤمنين الخاشعين :

**وَاسْتَعِيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ ، وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ إلاَّ عَلَى الْخَاشِعِيْنَ** (١٧)

أخذ النبي صلى الله عليه وسلم – بعد مبعثه المبارك- في الدعوة إلى الله وحده ، والتجنّب عن عبادة الأوثان والأصنام ، وكان ذلك تحدّياً سافراً للمشركين ، فشرعوا في إيذائه ، وإهانته ، والضغط عليه وعلى من تبعه ، واضطهاده ومن آمن به وبشريعته . فنجد دعوة الإسلام في مكة قد واجهت بإعراض وجفاء شديدين ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل احتار أمرهم لإيقاف الدعوة وتعطيل مسارها . فنراهم قد تفنّنوا في إيجاد الأسلحة المختلفة بغية تحقيق مرادهم وهو إبطال الحق وإحقاق الباطل .. نرى أسلحتهم قد تعددت وتنوعت ، فإذا لهم ألسنة حداد وإياد جارحات فراحوا يتقولون الأقاويل ، ويفتعلون الأفاعيل ، وصاروا لأهوالهم وضلالاتهم طائعين ، وفي ظلمات البغي سائرين ..

فقد رموا صاحب الدعوة بألفاظ بذيئة واتهموه باتهامات دنيئة ، فرموه بالسحر والكهانة ، واتهموه بأنه شاعر ومجنون ، أو يتلو أساطير الأولين . وقد صور القرآن الكريم تلك الافتراءات ، فقال تعالى :

**وَقَالَ الظَّالِمُوْنَ إنْ تَتَّبِعُوْنَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً** (١٨)

وقال عز وجل : **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِيْنَ** (١٩)

وقال تعالى : **وَقَالُوا أسَاطِيْرُ الأوَّلِيْنَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيْلاً** (٢٠)

وليس هذا فحسب بل تجاوز اضطهادهم للرسول صلى الله عليه وسلم إلى إلقاء الأتربة والقاذورات على رأسه الشريف وهو ساجد لربه ووضع الأشواك في طريقه ، وتدبير المؤامرات بقتل صاحب الدعوة ومن تبعه من ضعفاء المسلمين للقضاء على الدين الجديد . ومن الذين نالهم التعذيب آل ياسر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصبرهم ويقوي معنوياتهم ويغرس في نفوسهم الأمل قائلا لهم : "صبراً آل ياسر ! فإن موعدكم الجنة" .

لقد كان حصار الأعداء لدعوة الإسلام شديدًا محكمًا ، حيث لم يكتفوا بتنفير ساكني مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشويه سمعته عندهم ، بل صاروا يتلقّون الوافدين إليهم ليسمِّموا أفكارهم وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه والتأثر بدعوته . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جرى منهم مع الطفيل بن عمرو الدوسي ، وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فحين قدم مكة ، جاء إليه رجال من قريش فقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا . هكذا نجد دعاة الباطل في كل زمن يصوّرون دعاة الحق على أنهم إرهابيون وعواصف مدمّرة ، ليكسبوا الناس إلى صفهم ، فما يزال البسطاء والإمّعات الذين عطّلوا جانبا كبيرا من عقولهم ، يرددون كلامهم وينفّرون الناس من دعاة الحق . ولقد تأثّر الطفيل بن عمرو بكلام زعماء الكفار حتى سدّ أذنيه بالقطن ، وعزم على الاّ يسمع من رسول الله شيئا ولا يكلّمه . فغدا إلى المسجد وسمع تلاوة القرآن الكريم من رسول الله أثناء صلاته ، فأحسن . ثم تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وأسلم . ودعا قومه دوساً فأبطؤوا عليه ، فرجع إلى رسول الله وطلب منه أن يدعو على دوس ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اهدِ دوساً . وأمره أن يعود إلى قومه ويرفق بهم . هل استطاع الكفار أن يحولوا بين الناس وسماع دعوة الحق ؟

وقد بقي في مكة المكرمة بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً ، وقد هاجر اثنان وثمانون رجلاً من المسلمين إلى الحبشة ، على أثر الإيذاء ، والتعذيب ، والاضطهاد التي كانت تلحق بهم لأجل

إسلامهم ، وهاجرت معهم مسلمات ، وكانت هذه الهجرة في السنة الخامسة من البعثة النبوية المباركة .. وفي السنة السادسة ضرب حصار اقتصادي ، واجتماعي على النبي صلى الله عليه وسلم وآل هاشم في "شعب أبي طالب" وما ارتفع الحصار الخانق إلا بعد ثلاث سنوات ، مليئة بالضنك ، والضيق ، والعذاب ... ولما ارتفع الحصار ، شرع المشركون يؤذونه ، والمؤمنين ويقصدون قتله واغتياله ، وهدر دمه ، خصوصاً بعد ما فقد في عام واحدٍ عمّه وكفيله أبو طالب وزوجته وشريكته في نشر الدعوة خديجة الكبرى . وبعد الهجرة حاول أن يستقرّ في المدينة المنورة ، ازداد غضب الوثنيين والمشركين عليه ، وعلى الدعوة الجديدة ، فكانوا يحاربونه بالجيوش المسلحة ، ويشاغبون عليه ، ولكنه صبر على ما أصابه في طريق الدعوة . لم يستطع الكفار أن يحولوا بين الناس وصوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن صوته كان أقوى من أصواتهم ، ووسائله في التبليغ كانت أبلغ من وسائلهم، وثباته على مبدئه السامي كان أعلى بكثير مما كان يتوقعه أعداؤه . والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبع في بيته ، ولم ينزو في زاوية من زوايا المسجد ، ليستخفى بدعوته ، وليقي نفسه سهام أعدائه المسمومة .

ب — الصبر عن معصية الله : أى بكف النفس عنها ، وهو صبر على منازعة الأهواء والشهوات لتعميمها والاستيلاء عليها بجعل الشهوة أمة للعقل ليست مسيطرة عليه ، ولا مسيرة للنفس . فعلى كل داع مسلم أن يتصف بطهارة وسموٍّ وصفاءٍ أي طهارة الوجدان وصفاء الإيمان الذي يعصم صاحبه من الدنايا والمنكرات ، والانزلاق في مزالق الرزيلة ، وأن يتجنّب كل ذلك خوفاً من الله ، وأن يحمل نفسه على الأخذ بأسباب الأهبة للانخراط في سلك المحاربين في صفوف الخير ، ولا يغفل من أن الشرّ إذا وجد سبيلا إلى السيطرة على الخير فلن يرحمه . إن الراعي يترك القطيع يرتع في باحة الحدود المرسومة ، لكنه مع ذلك يكون يقظاً غاية اليقظة للحدود . والصبر عن المعاصي هو مقاومة المغريات المنتشرة في طريقه ، وزيّنت له اقتراف المعاصي . فقال عزّ وجلّ : **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** (٢١) أى اتخذ دينه هواه ، فلا يهوى شيئا إلا ركبه ، ولا يرى حراما ما حرّم الله ، ولا حلالا ما أحلّ الله ، فدينه ما هوت نفسه. ويذكر عباس طه ثلاث قوى للنفس التي هي مرد للأفعال ، حيث يقول :

القوة الغضبية أو السبعية لها من البدن ، جند يطيعها ويستجيب دعاءها ، وهي الجوارح . وللقوة الناطقة أداة تعينها على تحقيق مرادها ، ويعبرون عنها بالقوة الملكية ، تلك الأداة من الجسم ، هي

الدماغ . كذلك للقوة الشهوية أو البهيمية آلة تدير شؤونها وهي الكبد . ... فمتى كانت حركة النفس الناطقة في سيرها معتدلة رشيدة شيقة إلى تعرف النظريات الصحيحة من نأشكالها المنتجة ترود الأمور بوسائلها وتأخذ الأشياء بأسبابها، نشأت عنها فضيلة العلم ، وتلزمها أيضا فضيلة الحكمة . ومتى كانت حركة النفس الشهوية معتدلة في سيرها منقادة ، إلى تدابير النفس العاقلة غير متعاصية عليها ، ولا ممنعة في الإصغاء لهواها ، نشأت عنها فضيلة العفة ، وتلزمها فضيلة السخاء . وإذا كانت حركة النفس السبعية معتدلة مستقيمة لداعية النفس العاقلة ، فلا تنبرم ، لا تتسخط ولا تشكو ولا تهيج في غير حينها ، ولا تحمي أكثر مما ينبغي لها ، نشأت عنها فضيلة الحلم، وتلزمها فضيلة الشجاعة (٢٢).

صاحب الشهوة عبد فإذا ملك الشهوة أضحى ملكا

إن نفس الإنسان ترغب في الشهوات وتميل إليها مع أن هذه الشهوات لا تشبعها . ويقول الإمام ابن قدامة : اعلم أن أعدى عدوٍ لك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خُلقت أمّارة بالسوء ، ميّالة إلى الشرّ ، وقد أمرت بتقويمها وتزكيتها وفطامها عن مواردها ، وأن تقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها ، فإن أهملتها جمحت وشردت ، ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لزمتها بالتوبيخ رجونا أن تصير مطمئنة ، فلا تغفلن عن تذكيرها (٢٣).

والصّبر على أَداءِ الطَّاعات أَكمل من الصّبر على اجْتِنَاب المعاصي .

د – الصبر في الجهاد : فالمؤمنون مأمورون بالصبر في البأساء والضراء وحين البأس . فللجهاد مشقاته، وللحرب أعباؤها ، والمؤمن مأمور بالصبر على شدائد الحرب ، ومشقات الجهاد ، ولهذا أمر الله عز وعلا عباده المؤمنين بالمصابرة ، فقال :

**يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٢٤)

أى اصبروا على دينكم و صابروا أعداء الله على الجهاد وغالبوهم في الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقلّ منهم صبرا وثباتا .

ففي المصابرة مجاهدة للنفس ومغالبة لأهوائها وما يعتريها من جزع أو قلق ، لتستمرّ صابرة على ما يجب الصبر عليه ، فمن أخص صفات المؤمنين أنهم لا ييأسون من رحمة الله ، ولا يعتريهم قنوط أو خَوَر إذا تأخر عليهم النصر لحكمة يريدها عزّ وجلّ ، بل من واجبهم أن يداوموا على

إصلاح نفوسهم ، وأن يحسنوا توكلهم على ربهم ويزدادوا ثقة في وعده بالنصر والتأييد لعباده المؤمنين الصالحين ، وهذا يدفعهم إلى المزيد من اتخاذ الأسباب الدينية والدنيوية ، وإلى الاعتصام بالصبر.

أما قوله **وَرَابِطُوا** فالمراد بالمرابطة العُدّة الملائمة والعتاد أى أقيموا في الثغور مترصّدين مستعدين للغزو ، كما في قوله تعالى : **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ** (٢٥)

فرباط الخيل في الثغور لحفظها وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين . والرباط كلمة تتسع لكل ما عُرف من السلاح والطائرات والصواريخ والقنابل النووية لتحصين ثغور البلاد .

فقد رغّب الله عباده المؤمنين المجاهدين في كلا الأمرين : الصبر والرباط ، لأنهما سببان قويان لحفظ هيبة الأمة في صدور أعدائها ، ولاستجلاب النصر من عند الله تعالى . فقال عزّ وعلا : **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** (٢٦)

ففي الآيتين تحريض على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه . قال القرطبي : " قلت هكذا يجب علينا نحن أن نفعل لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير منا قدام اليسير من العدو كما مرة وذلك بما كسبت أيدينا وفي البخاري قال أبو الدرداء إنما تقاتلون بأعمالكم وفيه مسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل والاعتماد ضعيف والتقوى زائلة " (٢٧) .

إن الذين يعتقدون أنهم ملاقو الله يحسنون التوكل عليه ، ولا يصيب نفوسهم جزع لإيمانهم بأن النصر مع الصبر بإذن الله تعالى . فقال الله عزّ وجلّ مخاطبا المجاهدين يحثهم على الصبر والإقدام والثبات : **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** (٢٨)

ويهوّن الله على ما يصيبهم في سبيل الله ، ويرشدهم إلى أن الإيمان يجعل من صاحبه قوّة لاتلين ، وعزمة لا تُفَلّ ، ويعلّمهم أن سنّة الله في القتال أن يُداول بين الفريقين ، وأن العاقبة للمتوكلين على الله الصابرين على القتال وشدائده ، وما يتطلبه من بذل النفس والمال وتضحية

بالراحة، ولنتدبر قوله تعالى يخاطب عباده المؤمنين يحثهم على الثبات في الدفاع عن الحقوق وصيانة المعتقدات والذود عن المقدَّسات ، حيث يقول :

**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِيْنَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِيْنَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَ** (٢٩)

ومن صفحات تاريخ محمد صلى الله عليه وسلّم نرى أفعالا مفعمة بالصبر والسلوان ، والودّ ، والإنسانية ، والرحمة ، والعطف والحنان ... قام بها تجاه أعدائه الألداء ، أولئك الذين كانوا متعطشين لشرب دمه الطاهر ، ومهتمين لقتله ، وإزهاق روحه الزكية من بدنه المطهر ، ساموه بأنواع العذاب المهين بدون أي جرم صدر عنه ... تكسر رباعيته ، وتشج جبهته في يوم أحد الرهيب ، فيشق ذلك على أصحابه ويغتاظون غيظا شديدا ، فطلبوا منه عند ذلك :" لو دعوت عليهم " . فيجيب قائلا : (إِنِّي لم أبعث لَعَّاناً ، ولكنِّي بعثت داعياً ورحمة ، اللَّهُمّ اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون) (٣٠).

**٢- الصبر على الأقدار المؤلمة :**

غرس الله تعالى في قلوب الآباء محبة الأولاد والشغف بهم ، فلا تكاد تجد أباً أو أمّاً إلا وهو متعلّق بأولاده، كَلِفٌ بهم ، مهما بلغ جفاء قلبه وخشونة أخلاقه . وقد أشار إلى ذلك المولى جلّ وعلا في كتابه الكريم بقوله: **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ** (٣١)

وقوله : **الْمَالُ وَالْبَنُوْنَ زِيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** (٣٢)

وقال مذكراً خلقه بهذه النعمة : **وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيْراً** (٣٣).

حتى بلغت الشفقة بالآباء أن ذهب نوح عليه السلام يدعو ابنه إلى الركوب معه في السفينة ، فقال : **يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِيْنَ** (٣٤) ، ثم سأل الله تعالى أن يردّه إلي **هوَنَادَى نُوْحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِيْ مِنْ أَهْلِيْ وَإِنَّ وَّعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِيْنَ** (٣٥)

وابتلى الله إبراهيم بذبح ابنه ووحيده إسماعيل عليه السلام ليمتحن صبره وجلده على أقدار الله ، فكان من الصابرين المتحسبين ، وكان ذلك البلاء عظيماً كما وصف الله تعالى **إِنَّ هذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِيْنَ** (٣٦)

والمؤمن كان ذكراً أو أنثى حين يعتقد أن الأمر كله بيد الله ، ولا يملك له أحد النفع أو الضرّ ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يواجه الصعاب بصدر رحب ورضا وتسليم، لأنه من الله فيصبر ويحتسب رغبة فيما عند الله من أجر وثواب .

عن أنس بن مالك قال :

مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ :( اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ) قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ . فَقَالَ : (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) (٣٧).

ففي الحديث الشريف دعوة إلى الصبر وتقوى الله لتلك المرأة التي فقدت ولدها ، ولكن وقع المصيبة كان عظيماً لذلك . فقد خاطبت الرسول صلى الله عليه وسلم بألفاظ لا تليق بمقامه الشريف، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلها السماحة والعفو ، ولم تلبث أن جاءت معتذرة فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم اعتذارها، وضرب لها أروع الأمثال في أسلوب النصيحة بقوله : (الصبر عند الصدمة الأولى).

والصدمة مرّة من الصدم ، وهو ضرب شيء صلب بمثله ، ثم استعمل في كل مكروه حصلت بغتة ، واستعير للمصيبة الواردة على القلب . والصدمة الأولى هي : أول نزول المصيبة ووقوعها على النفس فإنها تكون أشدّ وآلم . والمعنى أن الصبر هو الذي يحمد عليه صاحبه ويثاب عليه فاعله بجزيل الأجر. والمصائب لا يثاب عليها –كما فهم بعض الناس– إذ ليست من كسبه ، بل المثاب عليه في المصائب الصبر ، فإن لم يصبر كانت المصائب كفّارة للذنب . يقول القاضي المروزي :

إذا ما رماك الدهر يوماً بنكبةٍ    فأوسع لها صدراً وأحسِنْ لها صبرا
فإن إله العالمين بفضله    سيُعقب بعد العسر من فضله يسرا (٣٨)

وما أشدّ وقع المصيبة على النفس حين تكون بعزيز غالٍ ، أو ولدٍ حبيب ! وفيه يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

سأصبر للحمام وقد أتاني    وإلا فهو آتٍ بعدَ حِينِ
وإن أسْلَم يمُتْ قبلي حبيبٌ    وموتُ أحِبَّتي قبلي يَسوءني (٣٩)

إنها لخطب جلل وكارثة عظيمة قد يضيق عنها الصبر ولا تتحملها النفس ، ولكن الإيمان في الوقت ذاته داوى هذه النفوس الجزعة بما يخفف عنها وقع المصيبة وألم الكارثة . فيصبر المؤمن ويحتسب رغبة فيما عند الله من أجر وثواب .

لاحظ كيفية الصبر عند أم سليم في حديث قد رواه الإمام مسلم في صحيحه بإسناده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ( مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ قَالَ فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَقَالَ ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ قَالَ لَا قَالَتْ فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ قَالَ فَغَضِبَ وَقَالَ تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا قَالَ فَحَمَلَت ...) [٤٠]

نلمح من هذا مدى ما يتمتع به الأولاد من مكانة عالية في نفوس أهليهم . ولذلك فالابتلاء فيهم له وقعٌ شديد على النفوس ، وأثر لا تمحوه الأيام ، إلا من تذرّع بالصبر ، وفوّض أمره إلى الله . هذا وقد ذكر سيد قطب في تفسيره عدة أنواع للصبر :

" لا بد من الصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصي ، والصبر على جهاد المشاقين لله ، والصبر على الكيد بشتى صنوفه ، والصبر على بطء النصر ، والصبر على بعد الشقة ، والصبر على انتفاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، والصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقلة العناد ، ومضاضة الإعراض . ." [٤١]

فمن عادة الإنسان أنه يتجاهل الحقائق ، وإذا لاقته الصعاب يدهش لها ، وإذا مسّه الضرّ يتبرم به ، وإذا أحرجه أمر أو نزلت به كارثة ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ويحاول أن يخرج من هذه الحالة بأسرع ما يمكن . والداعي المسلم أولى أن يدرب نفسه على طول الانتظار و يعتقد بقضاء الله وقدره وأن كل ما يحدث في هذه الحياة ، من خير أو شرّ ، ومن نفع أو ضرّ ، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه . وفيه يقول الشاعر :

فصبراً جميلاً إنّما هي نومةٌ ... وتُلحقُنا بالأولين النوائب

وليس لمن لم يمنع الله مانعٌ ... ولا لقضاءِ الله في الأرض غالبُ٤٢

فعلى المؤمن أن يرضى بحكم الله صابراً محتسباً طمعاً في مرضاة الله عزّ وجلّ ولا يستعجل في الخروج من حالته الحرجة ، وأن الله تعالى أمره بعدم العجلة كما في قوله : **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون** ٤٣ والصبور من أسماء الله الحسنى ، فهو يتمهل ولا يتعجل . فيجب على الداعي أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر و ملل . والابتلاء بالأحزان مبهم الأسباب لا يعرفها إلا الله . ومن حسب أن ما يلحقه هو آية على نسيان الله له فهو مخطئ ، بل المصاعب في الحياة تتمشى مع همم الرجال علواً وهبوطاً . كما قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وقدر أهل الكرام تأتي المكارم

" فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات "٤٤ .

فالصبر من عناصر الرجولة الناضجة . ومن ثم كان نصيب الدعاة والقادة من العناء والبلاء مكافئا لما أوتوا من مواهب . ومن طبيعة الإنسان العادي أنه إذا أنعم الله عليه فرح وافتخر ، وإذا امتحنه الله ومسّه الشرّ جزع ، ولكن الله قدّر له ولا يعلم سبباً له ، مع أن علم الله محيط بظواهر الأمور وبواطنها لذلك نهى الله عز و جل عن الجزع والفرح بما قدره الله بقوله :

**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ٤٥

هذا هو فائدة الإيمان بالقضاء والقدر أن تخف المصيبة على قلب الإنسان بسبب اعتقاده أنها بإرادة الله ومشيئته ، بينما الكافر ينفد صبره ويضيع رشده ، ولربما أضاع حياته أيضاً بالانتحار ، لأنه ليس لديه ما يسلّيه أو يعزّيه أو يخفف المصاب عنه " ٤٦.

يقول أبو فراس :

والصبر يأتي كل ذي رُزءٍ على قدر الرزية

أوصيك بالصبر الجميل فإنه خير الوصية ٤٧

المقاومة بالصبر :

إذا أصيب الداعي المسلم من الحوادث في نفسه و ماله و أهله وعرضه و دينه ، فعليه أن يحتمي بالله ويلجأ إليه ويطلب منه الصبر، يرى أن الحوادث يفلّ حدّها . فإن الصبر روح العفاف الذي يحميه ، ورحمة الله لا تفارقه إذا دعاه : **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين** ٤٨

والمؤمن حين يعتقد أن الأمر كله بيد الله ، ولا يملك له أحد النفع أو الضر ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يواجه الصعاب بصدر رحب ورضا وتسليم .

ويقول عند مصيبة إذا أصابته : إنا لله وإنا إليه راجعون. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهذا رسول الله يعلّمنا ويوجهنا كيف نصمد وكيف نواجه وكيف نثبت على الحق بأن نكثر من ترديد الدعاء : " يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك " و " يا مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك" .

كذلك بشّر الله المؤمنين بالفلاح بالتواصي بالصبر : **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر** ٤٩

فذكر عز و علا التواصي بالصبر قرين التواصي بالحق . ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . ولا إِيمانَ لمن لا صَبْرَ له ، كما أَنَّه لا جَسَد لمن لا رأس له . وقال عمر بن الخطَّاب : خير عيش ما أَدركناه بالصّبر. فالداعي ينبغي أن يكون الصبر عنوان حياته ، والمحور الذي ترتكز عليه معاملاته ، فما أنبل الصبر الذي لا يجلب له إلا الثمرة الطيبة من السعادة والهناء . وما أحوج الأمة إلى هذه النفوس الصابرة، و الصبر هو العلاج الناجع والشفاء التامّ لأمراض وقع فيها مجتمعنا المعاصر . وهذا هو المنهج الدعوي الحقيقي الذي ينبغي للدعاة أن ينتهجوه بعيدا عن الجدال والشدة ، لأن لهم دور أصيل في تربية النفس المسلمة على الصبر في أمور الدين وفي الأقدار المؤلمة .

ما أعظم شخصية عبدالله بن حذافة الذي أُتي بإمرأة جميلة كي يفتنه أهل الروم عن دينه ، واستمرّوا جاهدين في ترغيبه وترهيبه فلم يفلحوا . أخيرا أرادوا أن يلقوا به في القدر الذي يغلي أمامه ، فبكى عبدالله ، ففرح هرقل والروم ببكاء ابن حذافة وظنوا أنهم نالوا من نفسه الصابرة ، فقالوا : ما يبكيك ؟ قال مطمئنا صابرا : " لكم تمنيت أن لو كان لي بكل شعرة في جسدي نفسا تموت في سبيل الله يا هرقل " . أمع هذه النفوس يجدي ترغيب أو ترهيب أو أي محاولة تردهم عن دينهم ، وعن أهدافهم النبيلة ؟ !

ومن فوائد الصبر أن الإنسان يجد راحة مع نفسه ، وأنه تستقيم علاقته مع ربه . وهناك راحة داخلية بأن الصابر يكون مستقرا غاية الاستقرار في داخله ، بل ينشر هذا الاستقرار والهدوء النفسي على من حوله في مجتمعه من زملائه وعائلته .

وهناك طرق نستطيع بها أن ننمّي صفة الصبر ، ومن ذلك : علاج السلبيات في حياتنا ودعم الإيجابيات ، وصراحة مع النفس وعدم الهروب من المشاكل ، وتقبل النقد من الآخرين ، ومعرفة حقيقة الدين وحقيقة الرهبة والرغبة ، والخوف والرجاء . فالدين فيه خير ، والصبر معدن من المعادن كالذهب والفضّة . وأن الرزق بيد الله ، ولا يملك أحد أن ينقص من رزق مخلوق شيئا . وأن الأجل بيد الله ، وهو محدود لا يزيد ولا ينقص ، وأنه إذا جاءت نهايته لا تؤخر. والموت مدرك الإنسان لا محالة ، فهو كأسٌ وكل الناس شاربه . إذا استقرت هذه العقيدة في قلب المسلم ، فإنه يأبى أن يذلّ أو يهون في أي ظرف ، خاصة وقد علم علم اليقين أن شجاعته لا تنقص من عمره لحظة واحدة ، وأن الجبن لا يزيد في عمره لحظة أو ثانية . ويوم أن تستقرّ هذه المعاني في القلوب والنفوس ، يستقر أصحابها ويثبتون أمام الأعاصير الهوج ثبات الشم الرواسي.

## الهوامش

١- مجلة الحرس الوطني السعودي ، العدد ٢٤٨ ، فبراير ٢٠٠٣م ، ص : ١٠٠

٢- يوسف : ٢١

٣- الشافعي ، محمد بن إدريس ، ديوان الإمام الشافعي ، ص: ١٥، جمع وتعليق : محمد عفيف الزعبي ، مكتبة المعرفة ، حمص الطبعة الثالثة ١٩٧٤م .

٤- التوبة :٥١

٥- الكهف : ٢٨

٦- الرازي ، الإمام محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، ص : ٣٥٤-٣٥٥ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ .

٧- الرعد : ٢٢

٨- البقرة : ١٥٥ - ١٥٧.

٩- الفرقان : ٧٥ .

١٠- الإنسان : ١٢.

١١- يوسف : ٩٠

١٢- مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ص : ١٢٩٥ ، ح : ٢٩٩٩ ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية .

١٣- الأحقاف : ٣٥

١٤- البيهقي ، أبوبكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، ١٤٦/١، تحقيق : عبدالعلي عبدالحميد ، مكتبة الرشد بالرياض الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

١٥- طه : ١٣٢

١٦- البقرة : ٤٥

١٧- الفرقان ، الآية : ٨

١٨- الطور ، الآية : ٢٩-٣١

١٩- سورة الفرقان ، الآية : ٥

٢٠- الجاثية ، الآية : ٢٣

٢١- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص: ١٢٩ – ١٣٠ ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م .

٢٢- عباس طه ، فلسفة الأخلاق ، الإسلام ومكارم الأخلاق لعشرة من علماء الإسلام ، ص : ٩٩ ، دار الكاتب العربي .

٢٣- آل عمران ، الآية : ٢٠٠

٢٤- الأنفال : ٦٠

٢٥- البقرة ، الآية : ٢٤٩ ، ٢٥٠

٢٦- ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص : ٣٩٦-٣٩٧ ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

٢٧- آل عمران : ١٢٥

٢٨- آل عمران : ١٣٩-١٤٢

٢٩- القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣ /٢٥٥ ، تحقيق : هشام البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض٢٠٠٣ .

٣٠- ابن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والسير ، ٤٢١/٢ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٣١- آل عمران ، الآية : ١٤ .

٣٢- الكهف : ٤٦.

٣٣- الإسراء : ٦

٣٤- هود : ٤٢

٣٥- هود : ٤٥.

٣٦- الصافات: ١٠٦.

٣٧- البخاري محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح بشرح الكرماني ٧ / ٩٤ ، ح : ١٢٢٦ ، تصوير طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨١ .

٣٨- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى (٣٥٨/٤) تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٥م. والمروزي هو الحسين بن محمد (ت:٤٦٢هـ) قاضٍ من كبار فقهاء الشافعية ، توفي بمرو الروذ . طبقات الشافعية : ٤ / ٣٥٦- ٣٥٨ ، برقم : ٣٩٣ .

٣٩- الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن إدريس ، ديوانه ص : ٨٦ ، جمعه وعلق عليه : محمد عفيف الزعبي ، دار العلم للطباعة والنشر بجدة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م.

٤٠- صحيح البخاري ، ٧ / ٧٨ من فضائل أبي طلحة ، ح : ١٢١١ .

٤١- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١ / ١٤١ ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ١٩٨٠م .

٤٢- الشريف الرضي : ديوان الشريف الرضي ، ص : ١٧٥ ، شرح وتعليق كامل سليمان ، دار الفكر بيروت ، ١٩٥٦م.

٤٣- الأنبياء : ٣٧

٤٤- خلق المسلم ، ص: ١٣٢

٤٥- الحديد : ٢٢-٢٣.

٤٦- من كنوز السنّة (ص : ١٢٨) — محمد علي الصابوني — مكتبة الغزالي — دمشق .

٤٧- أبو فراس الحمداني ، ديوانه : ٤٣٥/٣ ، تحقيق : د. سامي الدهان ، المعهد الفرنسي بدمشق .

٤٨- الأعراف : ١٢٦

٤٩- العصر : ٣

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆